M.S.A.R
Journal of Media Studies and Research
Vol. 3 , No. 12, pp. 1–18; E-ISSN: 2308-0728, P-ISSN: 2957-966X
DOI: https://doi.org/10.58564/MSAR

The Structure of Arab Mass Communication Thought..Towards an Epistemological Approach

بنية الفكر الإعلامي العربي .. نحو مقاربة إبستمولوجية

Dr. Mahmoud Youssef Mohamed Elsamassiri,
Associate Professor of Mass Communication at Sohag University - Egypt

د. محمود يوسف محمد السماسيري،
أستاذ الإعلام المشارك بجامعة سوهاج- مصر

ABSTRACT

The study sought, through the use of the analysis and synthesis methodology, to touch the epistemological shortcomings in the structure of Arab media thought, which stems from a ground of knowledge represented in the overall foundations of the Islamic religion, which constitutes the main features of the identity of the Arab nation. This is by laying hands on that cognitive confusion practiced by these literatures when it started in its dealing with scientific communication with its various components and forms from the ground from which Western media writings emerged, which is the secular ground, Which made her media thought literature aims to find the way through which it is possible to build an effective communication process; And in a way that ultimately achieves the goals of the communicator, whatever methods of influence he follows, with a recommendation to adhere to some general ethics in this regard. While the communication process in societies with an Islamic knowledge base is supposed to be based on different foundations.

الخلاصة

سعى البحث عبر استخدامه منهجية التحليل والتركيب إلى تلمس القصور الإبستمولوجي في بنية الفكر الإعلامي العربي الذي ينطلق من أرضية معرفية تتمثل في كليات الذين الاسلامي الذي يشكل الملامح الرئيسة لهوية الأمة العربية، وذلك عبر وضع اليد على ذلك الخلط المعرفي الذي مارسته هذه الأدبيات عندما انطلقت في تناولها للعلمية الاتصالية بمكوناتها و اشكالها المختلفة من الارضية التي انطلقت منها الكتابات الإعلامية الغربية، وهي الأرضية العلمانية، والتي جعلت أدبيات الفكر الاعلامي لديها تهدف لتلمس السبيل التي يمكن خلالها بناء عملية اتصال مؤثر؛ وعلى النحو الذي يحقق في النهاية أهداف القائم بالاتصال أيا كانت طرق التأثير التي يتبعها مع التوصية بالالتزام ببعض الاخلاقيات العامة في هذا الشأن. بينما من المفترض أن تنبني عملية الاتصال في المجتمعات ذات الارضية المعرفية الاسلامية على أسس مغايرة تجعل الهدف من أية عملية اتصالية بداية هو الوصول إلى الحق في القضية محور عملية الاتصال، و التأثير في المتلقي عبر هذا الحق وحده. وقد سعت الورقة عبر صفحاتها لتلمس الأثار السلبية التي انبنت وستنبني على تبني الرؤية الغربية للعملية الاتصالية في مجتمعاتنا، وسبل تلافيها من قبل الفكر الاعلامي العربي .

الكلمات المفتاحية:

وسائل الاعلام ، الفكر، نظرية المعرفة ،عملية الاتصال ،الإعلام العربي.

Keywords:

The media ،Thought ،Theory of knowledge ،Communication process ،Arab media.

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	قبول النشر	النشر الالكتروني
23/5/2023	25/8/2023	15/12/2023

*Corresponding Author Email: smasiry@yahoo.com

مقدمة :

أصبح الإعلام يؤدي – وبشكل متزايد- دور رأس الحربة في التغيير الثقافي و المعرفي والمجتمعي الذي يشهده عالم اليوم ....و لا غرو أن من يملك التحكم في هذه الأداة يمتلك قدرة هائلة على تشكيل الأفكار و العقول علي النحو الذي يصبو إليه .. ولعل النجاحات التي حققها ويحققها الإعلام العلماني من التحكم في تشكيل وعي جل أبناء المجتمع العربي على النحو الذي يخدم مصالح المهيمنين عليه دليل ساطع على هذه الحقيقة .

و لاغرو أن هذه الوضعية تثير تساؤلين كبيرين ألا و هما: أين دور الإعلام العربي الذي يفترض أن يعبر عن الهوية الإسلامية في التصدي لهذه الوضعية ؟ ألا تعد هذه الوضعية دليلا جليا علي ضعف ذلك الإعلام ؟ و إذا كان لا مفر لنا من الإجابة علي السؤال الثاني بنعم.. فثمة سؤالين آخرين لابد من طرحهما هنا - وعلي نحو لا مفر منه أيضا- ألا وهما: السؤال الأول، أين الفكر الإعلامي العربي الذي يفترض ان ينبع من الهوية الاسلامية للمجتمعات التي ينتمي إليها من التصدي لهذه الإشكالية الجلل؟ السؤال الثاني : ألا يدلل غياب هذا الفكر عن التصدي لهذه القضية على قصور ما يضرب بنيته برمتها؟

المبحث الأول : منهجية البحث

إشكالية البحث:

تتجلي اشكالية البحث في كون جل الأدبيات العلمية العربية التي تعالج العملية الاتصالية في المجتمع العربي المعاصر ذي المرجعية الاسلامية تنطلق –حتى تلك التي تسمى نفسها دراسات في الإعلام الاسلامي- من طروح الفكر الاعلامي الغربي لبنية عملية الاتصال برمتها، وهو ما جعل النتائج التي تخلص اليها الادبيات العربية لا تغاير كثيرا النتائج التي انتهت اليها الدراسات الغربية التي تنطلق في فهمها لبنية عملية الاتصال من مقولات كوزمولوجية وإبستمولوجية وأيديولوجية علمانية مغايرة إلى حد كبير لكليات الدين الاسلامي الذي تنبع منه هوية هذه البلدان ويمثل مرجعيتها العليا... وتكمن مشكلة البحث في السعي إلى وضع اليد على جوانب الخلل في أدبيات الفكر الاعلامي العربي، وسبل تلافيها وهي المشكلة التي يمكن صياغتها في صورة تساؤل رئيس هو .. ما اوجه القصور في البنية الإبستمولوجية لأدبيات الفكر الاعلامي العربي وما سبيل تلافيها؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أهمية القضية الضخمة التي تسعي لتلمس ملامحها في هذه الورقة البحثية، والتي تتمثل في:

١- دق جرس الانذار امام الأدبيات الإعلامية العربية –لاسيما التي تسعى للتنظير للعملية الاتصالية من منظور اسلامي- حول كونها تنطلق من أرضية معرفية علمانية معايرة في تناولها للعملية الاتصالية لا تتنفق مع الارضية المعرفية الاسلامية التي تنتمي اليها ..

٢- لفت انتباه الفكر الاعلامي العربي للأثار التي تترتب علي تقديم فكر إعلامي لا يناسب هوية المجتمعات العربية ولا يحقق النتائج المرجوة منه.
٣-- تقديم مخطط أولي للفكر الاعلامي العربي لسبل تلافي هذا الخلل عبر بناء فكر اتصالي ينبع من كليات الهوية الدينية للمجتمعات العربية وقادر من ثم على انارة السبل التي تمكن العمليات الإعلامية التي تتم في المجتمعات العربية من تحقيق الغايات التي تصبو إليها.

أهداف البحث:

تهدف الورقة البحثية إلى تحقيق أربعة أهداف رئيسة هي:
وضع اليد على جوانب قصور بنية الفكر الإعلامي العربي الذي ينطلق من خلفية اسلامية في تناوله لبنية العلمية الاتصالية.
ثانيا. معرفة أسباب هذا القصور.
ثالثا: معرفة الاثار التي تتربت عليه في العلمية الاتصالية التي تهتدي بهذا الفكر.
المبحث الثاني: سبل بناء فكر إعلامي عربي نابع ن الهوية الاسلامية على نحو سليم.

نوع البحث ومنهجيته:

ينتمي هذا البحث إلى الدراسات النقدية وتستخدم في ذلك منهجية التحليل والتركيب، والتحليل والتركيب هما شقان لمنهج واحد أو هما منهجان متضايفان، لان من يقوم بتحليل موقف مركب إلى عناصره بغية فحص هذه العناصر أو تفنيدها لا يقف عن مرحلة التحليل هذه، بل يسعى إلى تجاوزها وترتيب ما وصل إليه من عناصر ترتيبا جديدا، أو يصنفها تصنيفا جديدا أو هذه كلها مجتمعه وذلك هو التركيب، إنه الوصول بالموقف القديم إلى مركب جديد، وحتى يمكن الوصول إلى هذا الموقف الجديد، لابد من مبدأ موجه يتخذ في ضوئه الباحث مواقفه حيال المعطيات التي أمامه[١] .

مخطط البحث:

تتكون هذه الورقة البحثية من مبحثين أثنين هما:
المبحث الأول: جوانب قصور بنية الفكر الإعلامي العربي القائم.
المبحث الثاني: سبل بناء فكر إعلامي عربي نابع ن الهوية الاسلامية على نحو سليم.

المبحث الثاني: جوانب قصور بنية الفكر الإعلامي العربي القائم.

إذا ما تأملنا الكتابات العلمية العربية التي انطلقت من خلفية إسلامية في تنظيرها للعلمية الاتصالية نجد جلها يقع في فخ المطابقة بين الإعلام الإسلامي والدعوة الإسلامية ..وكأن باقي مناحي حياة المجتمع

---

(١) محمود زيدان، مناهج البحث الفلسفي، (الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧)، ص ص ١٢٣:١٢٤

المسلم "السياسية والاقتصادية و الاجتماعية وغيرها" لا علاقة للإسلام بها ...ومن ثم فليس لها من اهتمام - ما يمكن تسميته بالإعلام الإسلامي- نصيب، وهو ما يجعل معالجة هذه القضايا تصبح، وعلي نحو حتمي، من نصيب الإعلام ذي الصبغة العلمانية. ورغم أن ثمة كتابات عربية– على قلتها- نظّرت للإعلام الإسلامي علي أنه ينبغي أن يتناول شتي مجالات الحياة إلا أن هذه الكتابات – مثلها قي ذلك مثل الكتابات التي اقتصر همها على الجانب الدعوي- وقعت في إشكاليه جلل تتمثل في تبنيها لنفس مقولات الفكر الاتصالي الوضعي حول عناصر العملية الاتصالية، وهي المقولات التي تتمحور – في النهاية- حول الإجابة على تساؤل كيف يمكن للقائم بالاتصال أن يقيم عملية "اتصال مؤثر" أو بمعني أخر "اتصال فعال".[١] ولم تبال بالإجابة على الكيفية التي يمكن خلالها ضمان سلامة الأثر الذي يترتب علي هذا الاتصال الفعال.

وقد عملت الكتابات العربية في سعيها للإجابة على التساؤل الأول المتعلق بكيفية تحقيق الاتصال المؤثر – نقلا عن أو تقليدا للكتابات الغربية الوضعية - إلى تلمس الدور الذي يضطلع به كل عنصر من عناصر العملية الاتصالية في بناء عملية اتصال فعالة قادرة على تحقيق الأثر الذي يصبو إليه القائم بالاتصال من بناء رسالته' سواء أكان ذلك التأثير ناجما عن أمور تتعلق بقوة المحتوي الذي تقدمه الرسالة، أو عن سمات ما تتمتع بها شخصية القائم بالاتصال منشئ هذا المحتوي، أو عبر توافق هذا المحتوي مع البنية السيكولوجية للجمهور المتلقي، أو عبر المؤثرات المصاحبة لنقل هذه الرسالة (مؤثرات صوتية أو إيحاءات) أو عبر الزخرفة اللغوية -في حالة الرسائل المكتوبة - أو عبر تضخيم عرض الرسالة وتكرارها علي نحو ملح ..وما إلى ذلك من عوامل تسهم في مزيد من تحقيق التأثير للرسالة.

وهكذا فثمة تبعية جلية للكتابات العربية لطروح الفكر الاتصالي الوضعي حول بنية العملية الاتصالية، وإذا كان ثمة تمايز لطروح هذه الكتابات عن الطروح الوضعية، فلا يعدو تأكيد هذه الطروح علي ضرورة التزام الممارسات الإعلامية في المجتمع المسلم بعدد من القواعد الأخلاقية التي تنطلق من القيم الإسلامية، وهو تمايز ليس بالجوهري عن الطروح الوضعية التي التفت منظروها- منذ كتاب أرسطو عن الاتصال الخطابي[٢]- إلى ضرورة وضع قواعد أخلاقية لضبط الممارسات الإعلامية.. وهو الأمر الذي تبلور - قبيل النصف الثاني من القرن العشرين- في نظرية متكاملة هي "نظرية المسؤولية الاجتماعية"[٣].

---

(١) حيث تمحور اهتمام الدراسات الإعلامية حول كيفية الوصول بالرسالة الإعلامية إلى تحقيق أهداف القائم بالاتصال من العملية الإعلامية.
انظر : - محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير (القاهرة : عالم الكتب، ١٩٩٧)، ص ٣١١.
(٢) انظر أرسطو طاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تحقيق : عبد الرحمن بدوي (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٩).
(٣) حول الملامح المتكاملة لهذه النظرية انظر:

-Chafee .Z., Government and Mass Communication , A Report From the Commission on Freedom of the Press Vol .1 , (Chicago : The University of Chicago Press ,1947).

وعلى الرغم من تثمين التفات الكتابات الإسلامية- بل والوضعية- إلى ضرورة التزام القائم بالاتصال بعدد من الضوابط الأخلاقية أثناء ممارسته العمل الإعلامي.. إلا إن هذا الالتزام ليس كافيا للإجابة على التساؤل الثاني الذي لم يبال الفكر الاتصالي الغربي بطرحه، وكان حتما على الفكر الإعلامي الإسلامي أن يطرحه ألا و هو: ما الذي يضمن لنا سلامة الأثر الذي تحدثه عملية الاتصال الفعال؟

ذلك أنه إذا ما افترضنا التزام القائم بالاتصال المسلم في بناء رسائله الاتصالية بهذه الأخلاقيات فثمة ثلاث تساؤلات- ينبني لاحقها على سابقها – لابد للفكر الاتصالي الذي ينطلق من مرجعية إسلامية - أن يجب عليها حتى يمكن للقائم بالاتصال ضمان سلامة التأثير الذي ستحدثه رسائله ألا وهي: ما الذي يضمن لذلك القائم بالاتصال سلامة المعالجات(الأحكام) التي يطرحها حول القضايا أو الأحداث التي يتناولها في رسالته؟ ألا يؤدي أي قصور في هذه المعالجات إلى اختلال المعارف ومن ثم، الأحكام، ومن ثم، السلوكيات التي يقوم بها الجمهور المتلقي على هدي تلك المعالجات القاصرة؟ ألا يعني ذلك وقوع ضرر حتمي(صغير أو كبير) للجمهور المتلقي الذي يهتدي بتلك الإحكام المختلة.. ضرر قد لا يغاير كثيرا الضرر الذي يلحقه به القائم بالاتصال عندما يتخلى عن مسؤوليته الأخلاقية تجاه هذا الجمهور عن عمد؟

والواقع إن الإجابة على هذه التساؤلات هي بلى.. فأية رسائل اتصالية يسعي خلالها القائم بالاتصال للتأثير في المتلقي، ولا تنبني على معرفة سليمة و متكاملة لديه تعني أنها رسائل تبتعد عن إدراك "الحق" [1]، بدرجة أو بآخري في القضية التي تتناولها، وهو ما يعني حدوث خسارة ما في تحقيق أهداف المتلقي الذي يهتدي بها، على قدر بعد هذه الرسائل عن أدرك ذلك "الحق".

ولا مراء إن إخفاق أية رسالة اتصالية يطرحها القائم بالاتصال في إدراك الحق القائم على إحاطة كاملة منه بالمعارف "المقدمات" التي تتعلق بالقضية التي يعالجها، وعلى انتقال منطقي سليم من هذه المقدمات إلى النتائج التي تنبثق منها، سواء أتم نقل الرسالة عبر عملية اتصال جماهيرية، أو عبر عملية اتصال جمعي، وأيا كان شكلها(مكتوبة، مسموعة، مرئية) وأيا كان حجمها (جملة و احده.. أو كتاب كامل طالما كانت تعالج قضية واحدة).. لا مراء إن إخفاق هذه الرسالة في إدراك الحق في القضية التي تعالجها، قد يؤدي إلى واحدة أو أكثر من النتائج السلبية التالية التي تلحق ضرراً واضحاً بالجمهور المتلقي بل والمجتمع الذي تطرح فيه برمته، والتي تتنافي مع طبيعة الدور التي يجب أن يضطلع به كل من نصب نفسه قائما بالاتصال في المجتمع الإسلامي .. هذه النتائج تتمثل في :

النتيجة الأولي :

---

١. *(١) الحق الشيء الحق، أي الثابت حقيقة، ويستعمل في الصدق والصواب أيضاً، يقال: قول حق وصواب. وفي اللغة: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وفي اصطلاح أهل المعاني: هو الحكم المطابق للواقع، ويقابله الباطل" **- الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥)، ص** ٦٧. وبالطبع فان أي معرفة لن تكون حقا إلا إذا كانت مطابقة للواقع، كما أن أي حكم يطرح حول أية قضية لن يكون حقا – و على نحو لا يمكن لعاقل إنكاره – إلا إذا أنبنى على أساس برهاني ..بالطبع قد نصل إلى البرهان في أشياء صورية لا علاقة حقيقة لها بالواقع ..إلا أن الحكم الحق الذي له صلة بالواقع لا يمكن أن نصل إليه إلا عبر البرهان.*

إن اعتناق شخص أو جماعة أو مجتمع أو أمة لأي خطاب مبني علي أسس ظنية سوف يخلف اختلالا في قدرة الأفعال التي تهتدي به علي تحقيق الأهداف المرجوة منها، وهو ما يعني حدوث خسارة ما في تحقيق الأهداف التي يصبوا إليها معتنق هذا الخطاب على قدر ما في هذا الخطاب من خلل أو قصور. (فنحن مثلا عندما نهتدي بمخطط لإقامة مشروع ما سوف نخفق في تحقيق الأهداف النهائية من هذا المشروع علي قدر ما في هذا المخطط من خلل) . وبالطبع كلما كبرت هذه الأهداف كلما عظمت الخسارة التي تصيب معتنق هذا الخطاب ..و إذا ما سحبنا هذا علي وضعية أمة الإسلام التي تبعد كثيرا عن هدفها الرئيس – الماثل في احتلال المكانة التي تليق بها كأمة الشهادة علي الناس – سوف نجد أن هذه الوضعية دليل علي، ونتيجة لـ ظنية واختلال الخطابات التي تهتدي بها في حركتها ..فمحال أن تضل أمة الحق البين لها هاديا ودليلا.

النتيجة الثانية :

لما كان أي خطاب ظني لا يمكن أن يلزم، بما يطرحه من تصورات أو أحكام للتعاطي مع القضية التي يتصدى لها، كل من يتعرض له.. فإن ذلك يفتح بابا للاختلاف حول تصورات أو أحكام هذا الخطاب، وهو ما قد يدفع بالمخالفين لطرح خطابات مغايرة – و ربما مناقضة لهذا الخطاب، وما يعنيه ذلك من إمكانية تفريق الصفوف إذا ما كان هذا الخطاب يتعلق بقضية تحتاج إلى وحدة الصفوف في التصدي لها .. و قد يصل الاختلاف إلى تمزيق وحدة الأمة إذا ما كان الخلاف يتعلق بالقضايا الكبرى كالعقيدة ... و ها نحن نري ذلك يتجلى بالفعل في وجود فيض من الخطابات التي تطرحها الفرق و الشيع و الجماعات المتعددة التي تشكل خريطة المجتمع المسلم ويدعي كل منها أنه يمثل – دون سواه – التصور الأمثل للمعالجة التي يقدمها الإسلام لشتي جوانب الحياة .وهو ما أفرز نوعا من الصراع بين أتباع هذه الخطابات، أدى في بعض الأحيان- ومنذ العصور الإسلامية الأولى- إلى وقوع فتن أشعلت نار الحرب في الجسد الإسلامي . وقد كان بديهيا أن يصبح ذلك مدعاة للخور والضعف الذي جعل من البناء المجتمعي لدي أمة الإسلام أعجز من أن يحقق المهام المنوطة بها في هذا الوجود ..وكان طبيعيا أمام هذا الضعف، وذلك التناحر أن تكون إمكانية الانهزام – أمام الغرب بخطابه العلماني – إمكانية كبيرة.

النتيجة الثالثة :

لا مراء أن أثر الخلل أو القصور في أي خطاب ينبني علي أسس ظنية يكون كبيرا إذا ما كان هذا الخطاب يعالج قضايا كبري ..وهو ما يخلف خللا وقصورا يضرب - وعلى نحو حتمي – كل الخطابات الفرعية التي تنبثق عن هذا الخطاب المختل.. وهذا هو ما حدث بالفعل عندما أصاب الخلل الخطاب العقدي الذي يقع من التصور الكوني الإسلامي موقع القلب، فامتد الخلل بعدها – وعلي نحو حتمي – إلى الخطاب المعرفي و الخطاب الاجتماعي (السياسي و الاقتصادي و المجتمعي)، وما انبثق عن هذه الخطابات من خطابات جزئية تنظر لشتي مناحي حياة الفرد و المجتمع المسلم.

ورغم ما في أصول هذه الخطابات من خلل إلا أنا قد نجد من يعتنقها يعتقد أنه يمتلك الحقيقة المطلقة، وقد يصل به الأمر إلى الاعتقاد أنه ينتمي إلى الفرقة الناجية. وأن كل من لا يعتنق الخطاب الذي يعتنقه ليس

له من النجاة نصيب. والواقع أن ذلك ادعاء قاصر والدليل الواضح علي قصوره انه لو كان أي من هذه الخطابات مالكا لهذه الحقيقة لاستطاع أتباعه أن يحققوا للأمة ما حققه لها ملاك هذه الحقيقة النقية من الصحابة و التابعين من عز وازدهار.

النتيجة الرابعة :

تفسر لنا هذه النتيجة علة الاعتقاد الراسخ بين أتباع أي خطاب في سلامة ويقينية الخطاب الذي يعتنقونه ..رغم احتمالية اختلال وقصور الأسس التي يستند عليها هذا الخطاب وذلك علي النحو التالي:

.إذا كان ثمة خلل ما في أي من المقدمات التي ينبني عليها حكم ما، أو في عمليات الانتقال من هذه المقدمات إلى هذا الحكم.. فطبيعيا أن نكون هنا أمام خيارين إما قبول هذا الحكم أو رفضه. لأنه حكم غير برهاني ومن ثم غير ملزم لنا.

و إذا ما اخترنا قبول هذا الحكم – لسبب أو لآخر- علي ما به من خلل فإن هذا القبول يجعل أية نتائج تنبني عليه ملزمة لنا – سواء أكانت هذه النتائج أحكاما معرفية أو تصرفات عملية – علي نحو يجعل هذا الحكم لا يكاد يغاير – في قوته – الحكم المبني على أساس برهاني في شيء.. اللهم إلا في إمكانية التفلت من هذا الحكم الظني لاحقا.. إذا ما بدا الخلل فيما ينبني عليه من أحكام واضحا، أو إذا ما ترتب على تبنيه في أرض الواقع خلل لا تخطئة عين.

ورغم أن عملية التفلت من الإلزام الذي ينبني علي هذا الحكم القاصر تبدو في وقت ما أمرا ممكنا، إلا أن الإشكالية الحقيقة تتجلي إذا ما أصبح هذا الحكم مقدمة لأحكام تالية.. و أضحت هذه الأحكام مقدمات لأحكام لاحقة و هكذا دواليك ... ووجه الإشكالية هنا أن قبول هذا الحكم القاصر سوف يجعل كل الأحكام التي تنبني عليه لاحقا – طالما توافر لها الاستدلال السليم هي أحكام ملزمة تمتلك قوة الأحكام البرهانية، وهو ما يعني عدم القدرة على التفلت منها .و أني لنا أن نتفلت منها وقد قبلنا ما تنبي عليه من مقدمات دونما جدل.

ولما كان الطريق الوحيد الذي أمامنا لان ننجو من قوة إلزام هذه النتيجة هو التشكيك في أي من المقدمات التي انبنت عليها – أو في عمليات الانتقال من هذه المقدمات إلى تلك النتيجة- فإن الأمر هنا سيبدو عسيرا كلما بعدت الشقة بين هذه النتيجة و بين المقدمة الأم التي بها الخلل. علي النحو الذي يجعل اكتشاف هذا الخلل قد يتطلب جهدا علميا شاقا ومتجردا ..وهو أمر يصعب أن يتوافر إلا لمن لديه القدرة على بذل هذا الجهد العلمي المتجرد .. ولعل هذا ما يفسر لنا خضوع أتباع كل الخطابات الفكرية السائدة في الفضاء الإسلامي لهذه الخطابات و النظر إليها علي أنها حق مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلي نحو قد يجعل بعض هؤلاء الأتباع يضحون بأرواحهم دفاعا عنها.. وهو ما يفسر لنا أيضا اعتزاز أتباع كل خطاب بخطابهم.. دون أن يأخذوا في حسبانهم حقيقة أن أي خلل في أي مقدمة من المقدمات التي ينبني عليها هذا الخطاب كفيله لان تخرجه من دائرة البرهان إلى الظن .وهو ما يجعل اتباعهم لهذا الخطاب ليس بالفضيلة، ورفض الآخرين له ليس بالرذيلة.

النتيجة الخامسة :

و تتمثل في أنه إذا ما تحققت سيادة لخطاب ما من الخطابات المختلة في أرض الواقع العملي فإن هذا الخلل سوف يحقق منافع للفئة التي تهيمن على مقاليد الأمور في المجتمع الذي يسود فيه هذا الخطاب ..و ذلك على حساب غيرها من الفئات.. وهو ما يجعل هذه الفئة تستميت في الدفاع عن هذا الخطاب عند تعرضه لأي نقد بل وقد يصل بها الأمر إلى إيقاع العقاب المادي والمعنوي بكل من تسول له نفسه نقد هذا الخطاب أو الخروج عن هيمنته.

وبالطبع فإنها لا تكتفي بهذا النهج في مواجه أي مسعى للنيل من هيمنة هذا الخطاب وإنما تسعي عبر سدنتها وعبر مختلف أبواقها الإعلامية لتقديم الأدلة و الحجج التي تدعمه وترسخ هيمنته في أرض الواقع .. و بالطبع فان هيمنة هذا الخطاب المختل ثم بناء خطابات أخري تبرر الخلل الذي يصيب به الواقع، وهي بطبيعتها لن تكون الا خطابات مختلة ..إن ذلك يُدخل أي مجتمع تسود فيه هذه الوضعية في حلقة مفرغة من الخلل المتصاعد .وهذا هو ما يشهد عليه التاريخ الإسلامي في عهود عديدة، كما أن واقع المجتمعات الإسلامية الحالية وما تشهده الآلة الإعلامية فيها من تزيين للباطل الذي يخدم مصالح الفئات المهيمنة على هذه المجتمعات، ويحقق لها الاستقرار و الاستمرار في الهيمنة على مقدراتها، خير دليل على ذلك . وكيف أنه جعل أحوال كثير من المجتمعات الإسلامية تتدهور يوما بعد يوم.

وقد كان طبيعيا أن يؤدي بناء الرسائل الإعلامية في المجتمعات الإسلامية على هدي طروح الفكر الاتصالي الغربي إلى النتائج سالفة الذكر، ذلك لان عدم تحري سبل بناء الرسائل الإعلامية التي تطرح في أي مجتمع إسلامي على نحو يمكنها من إدراك الحق في القضايا أو الأحداث التي تتناولها أو -على الأقل- الاقتراب قدر الإمكان من هذا الحق، اهتداء بفكر اتصالي وضعي يتمحور همه حول بناء الرسائل المؤثرة، بغض النظر عما قد يصيب هذه الرسائل من خلل أو قصور في عمليات تأسيسها المعرفي أو بنائها المنطقي واللغوي، إن عدم تحري ذلك يجعل طروح هذه الرسائل، لا تعدو أن تكون طروحا ظنية [1] غير قادرة على تحقيق الأهداف التي جاء الإسلام لإحرازها في هذا الوجود وهو الدين الذي وصفه القرآن بأنه "دين الحق"[2].. وهو وصف يشير إلى أنه الدين الذي جاء ليعلي الحق في أقول و أفعال اتباعه.. وكل من يبتعد من اتباع هذا الدين عن الحق في قوله أو فعله طمعا في تحقيق مصلحة ذاتية ما..

([1]) الظن هو "الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، وقيل: الظن" أحد طرفي الشك بصفة الرجحان"([1]) و يوضح ما نقصده بالظن هنا – علي نحو أكثر دقة وتفصيلا – ما ذكره الفارابي من أن "الظن هو : كل اعتقاد حاصل في وقت ما أمكن أن يزول في المستقبل بعناد فهو ظن ، وكل اعتقاد قام إلى وقت ما ثم زال بعناد، فقد كان قبل أن يزول ظنا لا يشعر به صاحبه أنه ظن
- أبو نصر الفارابي، كتاب في المنطق: الخطابة، تحقيق وتعليق :محمد سليم سالم (القاهرة، وزارة الثقافة، مكتب تحقيق التراث، ١٩٧٦)، ص ٨.

([2]) وصف القرآن الكريم الإسلام بأنه دين الحق في مواضع أربعة هي ({قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }التوبة٢٩ {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }التوبة٣٣ {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً }الفتح ٢٧ {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً }الصف ٩.

يبتعد عن وصفة كمسلم، علي قدر ابتعاده عن هذا الحق.. وهو الأمر الذي يجعل الإسلام قمينا أن يكون الدين الحق [1].

و لا محيص أمام الفكر الاتصالي السليم حتى يسهم في تحقيق رسالة الإسلام في إعلاء الحق في هذا الوجود، من بناء فكر اتصالي يرسم سبل بناء ونقل أي رسالة على نحو يمكنها من إدراك المعرفة الحق في القضية التي تتناولها، والتأثير عبر هذا الحق. .. وعدم الاكتفاء بتقديم النصح للقائم بالاتصال بضرورة تحمل ما تفرضه عليه مسؤولياته الأخلاقية، ذلك لأن التزام أي قائم بالاتصال في المجتمع المسلم بالنصائح التي تبين له حدود مسؤوليته الأخلاقية، والتي تتلخص في ضرورة السعي لتحقيق مصالح جمهوره ومجتمعه، لن يجدي كثيرا، إذا ما لم يدرك هذا الإعلامي الحق في القضية التي تعالجها رسالته، أو علي الأقل يقترب من إدراك ذلك الحق.

و إذا ما افترضنا – جدلا- أن الفكر الاتصالي الإسلامي تمكن من وضع آلية التي تمكن القائم بالاتصال من القدرة على الإحاطة بالمعارف الكاملة في القضية التي يعالجها، ومن الانتقال المنطقي السليم من هذه المعارف (المقدمات) إلى النتائج التي تنبثق عنها، واستطاع – من ثم - تقديم رسالة تحمل القول الفصل في القضية التي يتناولها، وعلى النحو الذي يُمكن جمهوره من تحقيق الأهداف التي يصبو إليها.. وهو ما يعني ضمان سلامة الأثر الذي سوف تخلفه هذه الرسالة .. إذا ما افترضنا ذلك؛ ثمة إشكالية أخرى لابد أن يتصدى لها ذلك الفكر الاتصالي الإسلامي، هذه الإشكالية تنبع من حقيقة أن الحياة تحمل للقائم بالاتصال يوميا قضايا كُثر، منها ما هو صغير ومنها ما هو كبير، ومنها ما هو محلي ومنها ما هو إقليمي، ومنها ما هو دولي ..إلى غير ذلك من التصنيفات. ولامناص هنا أمامه أن يمنح اهتماما متباينا لهذه القضايا، وهو ما يجعله يتحمل مسؤولية واضحة في تقرير أي من هذه القضايا تستحق أن يمنحها اهتماما أكبر من غيرها. وهنا تأتي الإشكالية والتي يمكن صياغتها في صورة تساؤل حتمي ألا وهو :.. ما المعيار الذي يضمن للقائم بالاتصال المسلم (شخص أو مؤسسة) سلامة تحديد أولوية[2] تناول قضية ما عن غيرها من القضايا؟

ويستمد هذا التساؤل حتميته من كون عدم وجود معيار يمكن القائم بالاتصال من سلامة تقديره للأولوية التي تحملها قضية ما عن غيرها من القضايا، يعنى إمكانية إعلائه قضية ذات أهمية ضئيلة على قضية ذات أهمية كبيرة، وهو ما يتسبب في خسارة تحيق بالمتلقي على قدر الفرق بين ما هو أعلى و ما هو أدني في أولويته من هذه القضايا.. إنه يعني فوات نفع أكبر، أو التصدي لضرر أقل على حساب التصدي لضرر أكبر، وقد يكون الخلل من ذلك النوع الذي يتعلق بتناول جانب ما من قضية من القضايا

([1]) محمود السماسيري، نظرية الخطاب(الفكر) الإسلامي، سلسلة"نحو إعادة بناء الفكر الإسلامي (١)(بيروت:دار القلم، ٢٠١٢)، ص ٤٩.

([2]) الأولي لغة "بمعني الأحق والأجدر " - مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز(القاهرة :وزارة التربية و التعليم، ١٩٩٢)، ص ٦٨٢ .

و الأولويات اصطلاحا هي " الأعمال التي لها حق التقديم على غيرها عند الامتثال أو عند الإنجاز"

- محمد الوكيلي، فقه الأولويات : دراسة في الضوابط، سلسلة الرسائل الجامعية(٢٢) (فرجينيا :المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧)، ص١٥.

الكبرى يغلب اهتمامه فيه بالعرض على حساب الجوهر أو الجزء على حساب الكل، وهو ما يعنى فساد المعالجة التي يطرحها للقضية برمتها. وفي كلتا الحالتين نحن هنا أمام ضرر يحيق بالمتلقي قد لا يقل عن الضرر الذي يحيق به بسبب إخفاق الرسائل الاتصالية التي يتعرض لها في إدراك الحق فيما يهمه من قضايا، بل قد لا يقل في أثره عن الضرر الذي يحيق به جراء التضليل المتعمد الذي يتعرض له من قِبل القائم بالاتصال الذي يعلي مصلحته على ما سواها.

وهكذا إذا أردنا أن نبني فكرا إعلاميا يستحق أن ينال وصفه بأنه إسلامي فلا بد أن يتسم هذا الفكر بسمتين رئيستين ألا وهما : السمة الأولى ؛ قدرته على ترسيم السبل التي تمكن القائم بالاتصال المسلم من الوصول إلى المعرفة الحق في القضية التي يتصدي لها و التأثير في المتلقي عبر هذه المعرفة الحق ..حتى يمكن ضمان سلامة هذا التأثير، السمة الثانية؛ قدرته على ترسيم السبل التي تمكن القائم بالاتصال المسلم من تحديد أولويات القضايا التي يعالجها على نحو سليم.

المبحث الثالث: سبل بناء فكر إعلامي إسلامي على نحو سليم.

حتى يمكن علاج الخلل الذي يضرب بنية الفكر الإعلامي الإسلامي القائم -والذي يدور في فلك علم الاتصال الوضعي - على نحو يمكن هذا الفكر من الإجابة على تساؤل "كيف يمكن للقائم بالاتصال بناء عمليات اتصال قادرة على الوصول إلى الحق، و التأثير عبر هذا الحق؟ وهي الإجابة الكفيلة بضمان سلامة التأثير الذي يترتب على هذه العمليات الاتصالية على خير وجه، فلا بد من بناء نظرية اتصال إسلامية تقدم للإعلامي المسلم الإجابة على ذلك التساؤل أولا، وتقدم له تصورا راسخا عن الكيفية التي تمكنه من ترتبت أولويات رسائله على نحو سليم ثانيا، وفيما يلي نتلمس السبل التي يمكن خلالها تحقيق هذين الهدفين.

أولا: سبل بناء عمليات الاتصال على يمكنها من إدراك الحق:

إذا كان هم الفكر الإعلامي الوضعي السائد، -كما اشرنا سلفا- هو بناء عمليات اتصال قادرة على تحقيق الأثر الذي يصبو القائم بالاتصال إلى إحداثه لدي المتلقي، فإن الهدف الذي ينبغي أن يسعى إليه الفكر الإعلامي الإسلامي ، هو كيفية بناء عمليات الاتصال التي تُمكن القائم بالاتصال من التأثير في المتلقي عبر الرسائل التي تحمل الحق.. ذلك الحق الذي لا يمكن أن يصبح حقا، إلا إذا ارتكن إلى معارف(مقدمات)كاملة والي انتقال سليم من هذه المقدمات إلى النتائج، على نحو يجعل هذه النتائج تأخذ صورة الأحكام البرهانيه [1] "اليقينية" و التي لا يملك أي متلق يسلم بمقدماتها إلا أن يسلم بها.

وهو ما يعني ضرورة أن تتصدى هذه النظرية لشتى الإشكاليات التي تحول دون بناء رسالة سليمة قادرة على إدراك الحق في القضية التي تعالجها، أو دون توصيلها علي نحو كامل .وهو ما يعني أن أي

---

(1) البرهان كما يعرفه أرسطو -وهو التعريف السائد في الدراسات المنطقية – هو " القياس الذي يكون من مقدمات صادقة أو أولية، أو من مقدمات يكون مبدأ المعرفة بها قد حصل من مقدمات أولية صادقة.

- أرسطو طاليس، منطق أرسطو (الترجمة العربية القديمة) تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، سلسلة دراسات إسلامية ٧، ج٢ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٩) ص ٤٩٦.

تناول لأي عنصر من عناصر عملية الاتصال (المرسل، الرسالة، الوسيلة، المتلقي، الظروف البيئية المحيطة، رجع الصدى) ينبغي أن يتمحور حول الدور الذي يؤديه - في النهاية - في أية مرحلة من هاتين المرحلتين . وأي إخفاق في تتبع هذا الدور الذي يؤديه أي عنصر من عناصر العملية الاتصالية .. يعني بالتبعية إخفاقا في فهم كيفية بناء عملية اتصالية ناجحة.

و يمكن القول إن العلة التي تقف وراء الخلل الذي أدى إلى عدم التفات الفكر الإعلامي الوضعي إلى أثر تلك العوامل علي بناء الحق ونقله، هي طبيعة الهدف الذي سعى إليه هذا الفكر، وهو الماثل في ترسيم سبل بناء ونقل أية رسالة علي نحو يحقق التأثير المرجو منها لدى المتلقي، أيا كانت مادة الرسالة، وأيا كانت سبل نقلها.

وحتى يمكن تجاوز ذلك الخلل فلا بد من بناء نظرية اتصال إسلامية تهدف للوصول إلى التأثير في المتلقي عبر الحق وحده، وليس إلى التأثير عبر الحق أو غيره، كما هو حال النظرية الغربية.

والواقع إن بناء هذه النظرية يتطلب من الفكر الاتصالي الإسلامي اجتياز عدد من المراحل قبل التمكن من بناء هذه النظرية على نحو سليم هذه المراحل هي:

المرحلة الأولي: النظر إلى أي فكر اتصالي يعالج بنية العملية الاتصالية على أنه لا يأتي من فراغ؛ فثمة مقدمات صريحة أو ضمنية ينبني عليها، بغض النظر عما إذا كانت هذه المقدمات سليمة أم مختلة .. هذه المقدمات هي بدورها نتيجة لمقدمات أعلى، و هكذا دواليك .. إلى أن نصل إلى المقدمات الأم، وهي الماثلة في مقولات التصور الكوني الذي يتبناه المجتمع الذي ينتمي إليه هذا الفكر، و في كل الحالات فإن أي خلل في أية مرحلة من مراحل بناء هذه المقدمات سوف يتبعه حتما خلل في قدرة هذا الفكر على طرح تصور سليم لكيفية بناء العملية الاتصالية على نحو فاعل .

وحتى وإن غابت هذه الحقيقة عن أي من الدراسات التي عالجت بنية العملية الاتصالية فإنها تظل مستبطنه فيها، فإذا ما تتبعنا المقدمات الأم التي تكمن وراء المعالجات التي تُطرح في أغلب الدراسات العربية لبنية عملية الاتصال سنجدها تنتهي بنا عند المقدمات ذاتها التي انبنت عليها المعالجات الغربية لعملية الاتصال، و هذه المقدمات لا تخرج في النهاية عن المقولات الإبستمولوجية والأيديولوجية السائدة في الفكر الغربي، والتي تنبثق بدورها عن مقولات التصور الكوني العلماني، وتسعي إلى الإسهام في تحقيق غايته.

و إذا كانت الدراسات الاتصالية الغربية لم تتناول الكيفية التي يتم خلالها التنظير ل" بنية العملية الاتصالية " علي هذا النحو المتعمق[1]. فان ثمة ضرورة تفرض على منظري الاتصال في المجتمع المسلم الإلمام بهذه المقدمات على نحو متكامل، حتى يمكن ضمان بناء هذه العملية على أسس راسخة.[1]

([1]) فالمعروف أن علم الاتصال قد نشاء في بدايته كإطار تجميعي لعدة تخصصات تنتمي إلى العلوم الاجتماعية و الإنسانية وظل يفتقد حتى اليوم للبنية النظرية المستقلة "

- عواطف عبد الرحمن، النظرية النقدية في بحوث الاتصال(القاهرة : دار الفكر العربي، ٢٠٠٢)، ص ٨ .

المرحلة الثانية: النظر إلى العملية الاتصالية علي أنها بنية متكاملة :لما كانت العملية الاتصالية بنية متكاملة يقع بين أطرافها التأثير والتأثر .. فإنه يصعب وضع اليد علي أي عنصر من عناصرها علي نحو سليم دون وضع اليد علي علاقته بالعناصر الأخرى في هذه العملية. ووضع اليد علي الموقع الذي يحتله في هذه العملية، وما إذا كان يحتل موقع المقدمة، أو يحتل موقع النتيجة، أو يمثل نتيجة ومقدمة في الآن نفسه ، بل إن أي عملية اتصال بشتى أطرافها لا تعدو أن تكون وسيلة لغاية سابقة عليها استدعت وجودها هي ما أطلق عليه "اللويد بتزر" [٢] الموقف الخطابي وهو يتكون من مزيج من جمهور وضرورة خطابية ومحددات، وهو ما يعني ضرورة النظر إلى عملية الاتصال بشتى مكوناتها كبنية واحدة، أو بمعني آخر أداة لتحقيق غاية سابقة عليها، هي التصدي للضرورة الخطابية، وهكذا لابد من النظر إلى الموقف الخطابي على انه يقع من العملية الاتصالية موقع المقدمة من النتيجة. وأي اختلال في فهمه يعني اختلال فهم العملية الاتصالية برمتها

([١]) وهو ما يتطلب- بداية- توافر طروح تعالج على نحو سليم ومتكامل منطلقات التصور الكوني الإسلامي، وتعالج الغايات التي يسعى إليها، والوسائل التي يطرحها لتحقيق هذه الغايات .. ثم معالجة مختلف الأبعاد الإبستمولوجية التي يمكن خلالها بلوغ الحق حيال أية قضية من القضايا أيا كان حجمها انطلاقا من الحقائق المطلقة التي جاء بها الوحي .. ثم معالجة مختلف الأبعاد الأيديولوجية التي تنظر لشتي السبل التي يمكن خلالها تحقيق الغايات التي جاء الإسلام لتحقيقها في هذا الوجود (سياسية، اقتصادية اجتماعية، اتصالية أو إعلامية) .. ثم تحديد الدور الذي ينبغي أن تضطلع به شتي الوسائل الاتصالية في المجتمع الإسلامي في تحقيق الغايات الإسلامية .. وعلي هدي كل ذلك يمكن تأسيس "بنية العملية الاتصالية " علي نحو برهاني قادر علي ترشيد العمليات الاتصالية التي تتم في المجتمع الإسلامي إلى الأهداف التي تصبو إليها.

-أنظر محمود السماسيري، نظرية الخطاب الإسلامي، مرجع سابق ص٦٨١.

([٢]) عرف "بتزر" الموقف الخطابي أنه " مزيج من الأشخاص، الأحداث، الموضوعات والعلاقات التي تشكل ضرورة واقعة بالفعل أو محتملة الوقوع، و التي يمكن التصدي لها بشكل كامل أو جزئي إذا ما تم الاستعانة بالخطاب في هذا الموقف، والذي يمكن هنا أن يحدد القرارات أو الأفعال الإنسانية التي يمكن أن تحدث تعديلا ذا دلالة في وضع هذه الضرورة" ويعتبر بتزر هو اول من نظر للموقف الخطابي انظر:

N.1 1968 ،Vol. 1 ،Lioyd Bitzer ,"The Rhetorical Situation" Philosophy and Rhetoric ، p .6.

ثم شهدت دراسات الموقف الخطابي تطورات مهمة منها:

- R.E.Vatz ،"The Myth of Rhetorical Situation " ،Philosophy and Rhetoric Vol. 6 -1973 .pp ، 154 ،161

Rhetorical Situation: Distinction and J. H .Patton "Causation and Creativity in -
55 ،1979 . pp 36 ،Vol. 65 ،Implication" Quarterly Journal of Speech

" Rethinking the Rhetorical Situation from within the Thematic of ،Prabara A. Biesecker -
246 ،Difference" in L. Lucaites and Others(eds.) 0p.cit 226

[٢] Xiaosui "The Rhetorical Situation Revisited " Rhetorical ،and Xiao ،Mary and ،Grrret
1993 ،Vol. 23 N2 ،Society Quarterly

المرحلة الثالثة :الفصل بين أثر عناصر العملية الاتصالية في بناء الحق وفي نقله: إذا كانت طبيعة الهدف الذي تسعى الدراسات الاتصالية الغربية إلى تحقيقه- وهو التأثير في المتلقي - لم تستدع منها الفصل بين أثر عناصر العملية الاتصالية في بناء الرسالة أو نقلها، إلا في الحدود التي تضمن سلامة نقل ما يريد المرسل إيصاله إلى المستقبل .. فإن طبيعة الهدف الذي تسعى إليه النظرية الإسلامية -وهو تأسيس وبناء ونقل الرسالة التي تحمل الحق - تجعل هذا الفصل أمرا لا مناص منه . حتى يمكن تلافي أي أثر يمكن أن يحدثه أي عنصر من هذه العناصر في الحيلولة دون الوصول إلى الحق، أو الحيلولة دون نقل الحق على النحو الأمثل إلى الجمهور المستهدف.

المرحلة الرابعة: وضع الشروط التي تمكن من بناء الرسالة الاتصالية القادرة على إدراك الحق في القضية التي تعالجها: و التي ترتبط بتلمس سبل تأسيس المعرفة التي تتعلق بمعطيات أية قضية على نحو سليم و متكامل .. كشرط رئيس للخلوص إلى نتائج برهانية حيالها أولا، ثم ثانيا: تلمس شروط بناء الحكم الذي يتعلق بهذه القضية على نحو منطقي صارم . و يحمل هذا الأمر صعوبة تتخطي كيفية القيام بعملية استدلال منطقي سليم من مقدمات قضية ما إلى نتائجها، إلى كيفية ضمان سلامة هذه المقدمات.. فليس ثمة إمكانية للخلوص إلى نتائج يقينية طالما انتفت سلامة مقدماتها، ولن تجدي حينئذ أية صرامة في عملية الاستدلال. ثم، ثالثا :تلمس شروط بناء أية رسالة على نحو لغوي واضح لا لبس فيه، ذلك لأن الاختلاف علي الدلالات التي يحملها دال ما، يمكن أن يفسد أية إمكانية لإلزام أي متلق بطرحنا، لكونه يجعل طرحنا- و إن بدا لمن يتفق معنا في دلالات اللغة المستخدمة برهانيا - طرحا ظنيا لدى من لا يتفق معنا في دلالات اللغة التي نستخدمها في رسالتنا، وهو ما يهدم كل الجهود التي تكون قد بذلت في الوصول إلى الحق القائم على البرهان، و يفتح بابا واسعا للخلاف.[1]

هذه هي المراحل التي لابد من انجازها لبناء نظرية اتصالية إسلامية قادرة على ترشيد القائم بالاتصال بناء رسائله على نحو سليم يمكنه من الوصول إلى الحق في أي قضية يتناولها - أو الاقتراب من هذا الحق بقدر الإمكان- والتأثير في المتلقي عبر هذا الحق، بما يمكن الجمهور المتلقي من تحقيق الأهداف التي يصبو إليها من التعرض لطروح القائم بالاتصال حول هذه القضية على خير وجه.

ثانيا : سبل ترتيب الأولويات على نحو غير سليم.

الواقع إن أي جمهور تجمع أفرداه اهتمامات مشتركة لا محيص أمامه من تبني ترتيبا ما لمدى أولوية القضايا التي يهتم بها، سواء أكان هذا الترتيب ناجما عن عمليات اتصال شخصي أم جمعي أم عن عملية اتصال جماهيري، وهو ما يعني أن وجود ترتيب ما للقضايا المشتركة لدى جمهور معين هو أمر واقع لا محالة، سواء أكان العنصر الفاعل في ذلك وسائل الإعلام، أم غيرها من وسائل الاتصال.. فلا بد أن تعلو قضية على أخرى في الأهمية لدى ذلك الجمهور، و لابد - من ثم - أن تسبقها في سلم الأولويات.

([1]) للمزيد حول هذه الشروط انظر: محمود السماسيري، نظرية الخطاب الإسلامي، مرجع سابق، ص ص ٤٩٩-٥٩٨.

وهنا ينبغي أن يكون الفيصل في المفاضلة بين الأولويات لدى القائم بالاتصال المسلم، هو ما سيعود على الجمهور المتلقي - جراء إعلاء قضية ما على أخرى- من نفع يمكن جلبه من التعاطي مع هذه القضية، أو مقدار الضر الذي يمكن دفعه .

و هنا ثمة تساؤل يحمل إشكالية واضحة لابد أن يطرح على الفكر الإعلامي الإسلامي ألا وهو: ما المعايير التي يجب إن يستند إليها القائم بالاتصال لتقرير ما هو أكثر نفعا أو أقل ضررا بين القضايا التي يرى أنها تقع في دائرة أولوياته؟

و وجه الإشكالية هنا أن أي خلل في المعايير التي يهتدي بها ذلك القائم بالاتصال في تحديد مقدار النفع أو الضرر في القضايا التي يهتم بها يعني من ثم عدم إعطاء قضية ما الأولوية التي تستحقها بين غيرها من القضايا على النحو السليم . وبديهيا أن ذلك يعني بالتبعية حدوث خسارة ما في تحقيق أهداف الجمهور المتلقي التي تتعلق بهذه القضايا على قدر هذا الخلل.

وهكذا ثمة مهمة حتمية أمام الفكر الإعلامي الإسلامي لتحديد السبل المثلي التي يجب أن يهتدي بها القائم بالاتصال، بل ووسائل الإعلام الإسلامية برمتها، في ترتيب أولويات القضايا، على نحو يضمن سلامة ترتيبهم هذا ويضمن-من ثم- سلامة الآثار المعرفية والنفسية و السلوكية التي تحدث للجمهور المتلقي المعني بهذه القضايا.

و الواقع أن ذلك الهدف لن يتسنى للقائم بالاتصال المسلم تحقيقه إلا إذا تمكن الفكر الاتصالي الإسلامي من تقديم نظرية متكاملة حول كيفية بناء و ترتيب الأولويات .. نظرية تضع في حسبانها شتي المقدمات التي يمكن على هداها فهم حقيقة الدور الذي ينبغي أن تلعبه وسائل الإعلام في بناء و ترتيب الأولويات في المجتمع المسلم، ، وشتي النتائج التي يمكن أن تنبني على أي خلل في الاضطلاع بهذه المهام، وواقع الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في أداء هذا المهام، ومدى الفجوة بين هذا الواقع وبين ما هو مأمول.

والحقيقة أن بناء هذه النظرية لن يتسنى للفكر الاتصالي الإسلامي دون توافر أبنية معرفية سابقة.. أبنية تعد مقدمات حتمية ترتكن إليها هذه النظرية .. هذه المقدمات هي :

المقدمة الأولى : بناء فكري محكم لكليات الإسلام الماثلة في: منطلقات الإسلام الرئيسة التي تتمثل في معرفتنا بكل ما يتعلق بخالقنا العظيم سبحانه و تعالى، وعلة خلقه لنا وسبل رضوانه عنا.. أولا. والغايات التي أمرنا الله تعالى كأفراد وكأمة أن نسعى إلى تحقيقها في هذا الوجود حتى نحقق ذلك الرضوان.. ثانيا. والوسائل الرئيسة التي نهتدي بها كأفراد وكأمة في تحقيق هذه الغايات.. ثالثا.

المقدمة الثانية: فهم متكامل للواقع الذي تعيشه الأمة عبر القراءة العلمية الدقيقة لحقيقة الفجوة بين ما هو كائن من واقع الأمة، وبين ما ينبغي أن يكون عليه واقعها كخير امة أخرجت للناس.

المقدمة الثالثة : مخطط متكامل وعملي لسبل تجسير هذه الفجوة؛ يرسم الوسائل و الآليات الرئيسة التي تمكن أمة الإسلام من الانتقال من الوضعية الكائنة إلى الوضعية التي ينبغي أن تكون عليها من احتلال موقع الصدارة بين أمم الدنيا كشرط حتمي للقيام بدورها كأمة الشهادة خير أمة أحرجت للناس.

المقدمة الرابعة: تحديد واضح للأدوار المنوطة بكل مكون من مكونات المجتمع الإسلامي (أفراد، جماعات، مؤسسات، حكومات) للإسهام في نقل الأمة من الوضعية الكائنة إلى الوضعية التي ينبغي أن تكون عليها.، وتحديد دقيق للأولويات التي تقع بين هذه الأدوار.

و إذا ما توافرت هذه المقدمات يمكن حينها للفكر الاتصالي المسلم أن يبنى نظرية متكاملة تحدد الدور الذي يجب أن تقوم به وسائل الاتصال بمختلف مستوياتها في نقل الأمة من الوضعية الكائنة التي تعانيها إلى الوضعية التي تليق بها، وتحدد المعايير الراسخة التي يهتدي بها القائم بالاتصال المسلم في تقرير مدى أولية تناول قضية ما عما سواها من قضايا، وسبل ترتيب هذه الأولويات على نحو سليم.

❖ الاستنتاجات

وفي النهاية يمكن القول: إن قدرة العقل المسلم على بناء إعلام إسلامي حقيقي قادر على الإسهام في إنقاذ الأمة من وضعيتها الحالية و الانتقال بها نحو تحقيق الغايات التي تصبو إليها كخير أمة أخرجت للناس لن يتسنى له ما لم يقدم نظرية اتصالية متكاملة، ترسم للقائم بالاتصال المسلم سبل الوصول إلى الحق في أية قضية يتصدى لمعالجتها أو الاقتراب من هذا الحق قدر الإمكان، وسبل التأثير في المتلقي عبر هذا الحق، و تحدد له المعايير الراسخة التي يهتدي بها في تقرير أولوية تناول قضية ما عما سواها من القضايا على نحو يجعل ما يطرحه حول هذه القضية قادرا على الإسهام في النهاية- ولو بقدر ضئيل- في تحقيق غايات أمة الإسلام في هذا الوجود.

قائمة المراجع والمصادر

١) **محمد الوكيلي، فقه الأولويات : دراسة في الضوابط، سلسلة الرسائل الجامعية(٢٢) (فرجينيا :المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧).**

٢) **أبو نصر الفارابي، كتاب في المنطق: الخطابة، تحقيق وتعليق :محمد سليم سالم (القاهرة، وزارة الثقافة، مكتب تحقيق التراث، ١٩٧٦).**

٣) **أرسطو طاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تحقيق : عبد الرحمن بدوي (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٩).**

٤) **أرسطو طاليس، منطق أرسطو (الترجمة العربية القديمة) تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، سلسلة دراسات إسلامية ٧، ج٢ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٩) .**

٥) الأولي لغة "بمعني الأحق والأجدر " - مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز(القاهرة :وزارة التربية و التعليم، ١٩٩٢).
٦) الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥).
٧) عواطف عبد الرحمن، النظرية النقدية في بحوث الاتصال(القاهرة : دار الفكر العربي، ٢٠٠٢) .
٨) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير (القاهرة : عالم الكتب، ١٩٩٧) .
٩) محمود السماسيري، نظرية الخطاب(الفكر) الإسلامي، سلسلة "نحو إعادة بناء الفكر الإسلامي (١)(بيروت: دار القلم، ٢٠١٢).
١٠) محمود زيدان، مناهج البحث الفلسفي، (الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧).

11) J. H .Patton "Causation and Creativity in Rhetorical Situation: Distinction and Implication" Quarterly Journal of Speech ،Vol. 65 ،1979 .
12) Prabara A. Biesecker ،" Rethinking the Rhetorical Situation from within the Thematic of Difference" in L. Lucaites and Others(eds.)
13) -Chafee .Z., Government and Mass Communication , A Report From the Commission on Freedom of the Press Vol .1 , (Chicago : The University of Chicago Press ,1947.(
14) Grrret ،Mary and ،and Xiao ،Xiaosui "The Rhetorical Situation Revisited " Rhetorical Society Quarterly ،Vol. 23 N2 ،1993
15) Lioyd Bitzer ,"The Rhetorical Situation" Philosophy and Rhetoric ،Vol. 1 ،N.1 1968
16) R.E.Vatz ،"The Myth of Rhetorical Situation " ،Philosophy and Rhetoric Vol. 6 -1973 .

Funding

No funding received for this work

Conflicts Of Interest

None

Acknowledgment

None

References:

1. Muhammad Al-Wakili, "Fiqh Al-Awlawiyyat: Dirasah fi al-Dawabit," University Theses Series (22) (Virginia: International Institute of Islamic Thought, 1997).
2. Abu Nasr Al-Farabi, "Kitab fi al-Mantiq: Al-Khitabah," Edited and annotated by Muhammad Salim Salem (Cairo: Ministry of Culture, Heritage Investigation Office, 1976).
3. Aristotle, "Al-Khitabah" (Ancient Arabic Translation), Edited by Abdul Rahman Badi (Kuwait: Publications Agency, 1979).

4. Aristotle, "Mantiq Aristotle" (Ancient Arabic Translation), Edited and introduced by Abdul Rahman Badi, Islamic Studies Series 7, Part 2 (Cairo: Nahda Egypt Library, 1949).
5. "Al-Awliyya" in the sense of "more deserving and more fitting" - Arabic Language Academy, Al-Mu'jam Al-Wajeez (Cairo: Ministry of Education, 1992).
6. Al-Sharif Al-Jurjani, "Al-Ta'rifat," Edited by Ibrahim Al-Ibyari (Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1405).
7. Awatef Abdul Rahman, "Al-Nazariyya Al-Naqdiyya fi Buhuth Al-Ittisal" (Cairo: Arab Thought House, 2002).
8. Muhammad Abdel Hamid, "Nazariyat Al-I'lam wa At-tajahulat Al-Tatheer" (Cairo: Alam Al-Kutub, 1997).
9. Mahmoud Al-Samasiri, "Nazariyat Al-Khitab (Al-Fikr) Al-Islami," "Towards Rebuilding Islamic Thought" Series (1) (Beirut: Dar Al-Qalam, 2012).
10. Mahmoud Zidan, "Minahij Al-Bahth Al-Falsafi" (Alexandria: Egyptian General Authority for Books, 1977).
11. J. H. Patton, "Causation and Creativity in Rhetorical Situation: Distinction and Implication," Quarterly Journal of Speech, Vol. 65, 1979.
12. Prabara A. Biesecker, "Rethinking the Rhetorical Situation from within the Theme of Difference" in L. Lucaites and Others (eds.).
13. Chafee Z., "Government and Mass Communication, A Report From the Commission on Freedom of the Press Vol. 1," (Chicago: The University of Chicago Press, 1947).
14. Garrett, Mary, and Xiao, Xiaosui, "The Rhetorical Situation Revisited," Rhetorical Society Quarterly, Vol. 23, No. 2, 1993.
15. Lloyd Bitzer, "The Rhetorical Situation," Philosophy and Rhetoric, Vol. 1, No. 1, 1968.
16. R.E. Vatz, "The Myth of Rhetorical Situation," Philosophy and Rhetoric, Vol. 6, 1973.